المكان ودلالاته الدرامية في مسرح علي باكثير
مسرحيتي "وادي السباع، السبع والحية" أنموذجًا

د/ مروه عبد العليم عبد الحكيم زلابية
كلية التربية النوعية بأشمون-جامعة المنوفية

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى معرفة المكان ودلالاته الدرامية في مسرحيات باكثير الدينية القصيرة، واعتمد على المنهج البنيوي التكويني لتحليل النصين والمنهج السميوطيقي للتركيز على تفصيلات المكان وأفعال الشخصيات للوصول إلى دلالاتها الدرامية، وتمثلت عينة البحث في النصين المسرحيين (وادي السباع،السبع والحية)، وخلصت نتائجه إلى:

١.لم يلجأ باكثير عند إنتاج دلالات المكان(وادي السباع) إلى إرساء دلالات لحدوده الجغرافية، بل لجأ إلى المكان اللامحسوس، أي مكان معنوي يحمل دلالات عميقه، ومن خلال ما تحسه الشخصيات.

٢.تنوعت الفضاءات المكانية ما بين المغلقة كالأكواخ للدلالة على العزلة في نص(وادي السباع)، ومنزل أبي حمزة دليل الراحة والأمان في(السبع والحية)، ثم تنتقل الأحداث الدرامية إلى المكان المشترك بينهما(وادي السباع)، للدلالة على الترحال والسعي لإثبات حسن الظن بالله، وبالتالي تنوعت أزمنتها ما بين ماضي الشخصيات العابدة، والحاضر في محاولتهم اللجوء إلى وادي السباع لكي يمتحنهم الله في إيمانهم بالقضاء والقدر خيره وشره، والمستقبل المتمثل في النجاة من السبع والحية وتحولهم لمصدر نجاة للشخصيات الدرامية.

٣.جاء الحوار الدرامي معبرًا عن المكان ودلالته، بلغة عربية فصحى متأثرة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، متضمنه في تراكيبه اللغوية لبعض أجزائه أو التصريح بها، وتتناسب مع الفكرة والقضية التي يتبناها الكاتب، فيتم لجوء الشخصيات إلى وادي السباع لإثبات ذلك.

٤.هناك علاقة وثيقة بين العنوان ودلالة المكان الدرامي المشترك بين النصين عينة البحث فحوله الكاتب إلى مدلولات فكرية أراد بها تصوير العزلة عن المدينة، ويتخيل القارئ ما في الوادي الفسيح الذي يدل على رحابة الفكر والتأمل في خلقه، فيتلاءم والشخصية المتحولة مكانيًا واستيعابها لحاجات ضرورية داخل الإطار النفسي لها.

الكلمات المفتاحية: المكان ودلالاته الدرامية، على باكثير، مسرحيتي "وادي السباع، السبع والحية".

مقدمة البحث:

المسرح منبر مهم غير تقليدي للتوجيه والإرشاد والتعليم والدعوة إلى قيم الخير والحق والجمال، ويمكن استخدامه للحفاظ على الهوية، ومحاربة البدع والخرافات والشر، بصورة أكثر قوة وحيوية من وسائل الإعلام الأخرى، لذا وظف المسرح الديني ذات الطابع الإسلامي على وجه الخصوص ليصبح درعًا لمواجهة الغزو الدرامي المدمر الذي يخترق البيوت(كحيلة.ص١٣)، فيقول الأديب الإسلامي مصطفى صادق الرافعي:"إن توفيق الحكيم أول من هذب تـــاريخ الأدب العربي تهذيبًا فنيًا على نسق الفن".(الرافعي.ص٣٧)، ويقول عبدالمنعم يونس رئيس فرع رابطة الأدب الإسلامي في القاهرة:"إن المسرح الإسلامي يشكل جانبًا له خطره في تنبيه المشاهدين إلى كثير مما يحاك ضد المسلمين بشكل فني جميل"(كحيلة.ص٦٦)، أما نجيب الكيلاني-من أبرز المنظرين المسرحين- يؤكد أنه يتناول الحياة بكل ما فيها، ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها، وفق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة، وينهض بعزائم المستضعفين، ويبشر بالخير والحب والحق والجمال".(الكيلاني.ص٣٤)

لهذا فالمسرح الديني يشكل جانبـــاً مهمًا في تنبيه المتلقي إلى كثير مما يحاك ضد المسلمين، وقد يسعى البعض لإنتاج تجربة مسرحية إسلامية ولكن لا يجـــد النص الذي يساعده في ذلك؛ "إذ لا يتوافر في المكتبات العربيـــة ســـوى عدد محدود من النصوص المسرحية الإسلامية المتفقة من حيث المضمون والشكل والصياغة مع كل ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله محمدﷺ، كما تندر الكتب والدراسات والأبحاث التي ترشد إلى الطرق المثلى لإعداد وتأليف مسرحية إسلامية، والنصوص المسرحية المتوافرة بها بعض القصور من الوجهة الفنية، لأنها قد تنطوي على موضوعات رائعة ولكن بصياغات جافة مشحونة بالبيانات والإرشادات التـــي تُلـــح بالنصح المباشر، وهو أسلوب لا يناسب المقام أو المقال المسرحي، وبعض النصـــوص نتيجة عدم معرفة كاتبها لطبيعة المسرح تكون مستحيلة التنفيذ.(كحيلة.ص٢٩-٣٠)

ومن الدراسات التي تناولت المسرحيات الإسلامية واستندت إليها الباحثة في البحث الحالي- ولكن يفضل أن يُطلق عليها المسرحيات الدينية ذات الطابع الإسلامي لأن أصول المسرح وبداياته دينية- كدراسة(الإسلام.٢٠١٨) التي تناولت الجانب الإسلامي والوطني في أدب باكثير من خلال تحليل الآيات القرآنية وبعض من الأحاديث النبوية، والمؤلفات والكتب التي ألفت على أعماله الروائية والمسرحية والقصصية والشعرية، وكذلك دراسة(أبو رضا.٢٠١٠) التي توصلت إلى أن الاتجاه الإسلامي يشكل خطًا واضحًا في كثير من مسرحيات باكثير، أما دراسة(كنالي.٢٠٠٨) تكشف المقومات التي تميز المسرحية الإسلامية عن غيرها من خلال إخضاع مجموعة من مسرحيات عماد الدين خليل للبحث والتحليل.

كما برز اهتمام الكتاب والنقاد الأدبيين في العصر الحديث بظاهرة المكان لانجذاب القراء إليه ولتعدد دلالاته الدرامية ومعانيه ووظائفه، والذي تم توظيفه وفق ميول الكتاب وأهوائهم عند معالجتهم للوقائع التاريخية والدينية والاجتماعية، حيث يحمل المكان دلالات متنوعة وعلاقات مختلفة تربط الشخصيات بواقعها المكاني؛ فيتفاعل كل منهما مع الآخر ونفهم من خلاله سلوك الفرد وموقفه الانفعالي، كما أن المكان المسرحي يضفي التخيل مظهر الحقيقة، وأصبح جزءًا أصيلًا من حياة الإنسان؛ ويمثل الإطار العام للنص لذا اهتم به البحث الحالي وبإبرازه في مسرحيات باكثير(*) بشكل عام والدينية بشكل خاص.

وهناك دراسات عربية وأجنبية سلطت الضوء على باكثير ككاتب دراما مبتكر، ويمثل العديد من الثقافات والتجارب، وعمل على تطوير الدراما الشعرية العربية الحديثة التي توظف التاريخ والمشاكل الاجتماعية لتقديم رؤية الأدب العربي في العصر المعاصر كدراسة (Dahami.2021)، ودراسة أخرى تناولت حياته وأعماله(P.A.2015)، أما الدراسة النقدية المكتوبة في الولايات المتحدة فجاءت متخصصة في أعماله الدرامية، فهو كاتب غزير الإنتاج والتزم بالفكر الإسلامي طوال حياته هو ما جعله فريدًا بين الكتاب

(*) اهتم باكثير بالمسرح الإسلامي وأصبح رائدًا من رواده في العصر الحديث، حيث جعل الفكر الإسلامي فلسفة لأدبه ومنهجًا لحياته، الذي استقاه من القرآن والسنة، وهو من أكبر الأدباء والكتاب المسرحيين- بعد توفيق الحكيم- ولكنه لم ينل ما يستحقه في الأوساط الأدبية المصرية والعربية في حياته، بل تعرض أحيانًا للاضطهاد والمعاناة، فنجده في مقدمة من جعلوا أدبهم صادقًا لمفاهيم الأدب الإسلامي الهادف، ولا نجد في أعمال جيل كامل من أدباء مصر؛ ما يتسم بطابع إسلامي يبرز فلسفة دينية ودنياوية متكاملة سوى مسرحيات باكثير.

العرب المعاصرين، كُرست أعماله لتمثيل الفكر الإسلامي في جميع مناحي الحياة. (Hamid.1988)

لذا سيتم دراسة دلالات المكان في النصوص المسرحية الدينية للكاتب؛ والتي تخضع لأهدافه الدرامية التي يقررها في سير النص الدرامي ويرمي إليها، وكشفت بعض الدراسات النقدية عن مدى ارتباط النص الدرامي بالمكان وعلاقته بالبناء الدرامي للنص باعتباره المحرك الأساسي له ولتسلسل أزمنته، كدراسة(بيرم.٢٠٢١) لدراسة سلطة المكان في النص المسرحي العراقي المعاصر من حيث تأثيرها على الذات الإنسانية وتحفيز المدركات العقلية والحسية للمتلقي لاكتشاف الأبعاد الفكرية والنفسية والاجتماعية لنسق بنية السلطة المكانية، كما تركز دراسة(زيدان.٢٠٢٠) على الدور الحيوي الذي يلعبه المكان الدرامي المفترض في نص بيت الدمية لهنريك أبسن على المستوى الجغرافي والفكري، وأهتمت دراسة(الخزاعي،الغزالي.٢٠١٩) بالمكان وتضاداته في النص المسرحي الروسي المعاصر، وجاءت دراسة(فاطمة الزهراء.٢٠١٨) لتدرس المكان ودلالاته في الرواية المغاربية المعاصرة، أما دراسة(حسن.٢٠١٢) اهتمت بالمكان بين النص المسرحي والصياغة السينمائية، واهتمت دراسة(شلاش.٢٠١١) بالمكان والمصطلحات المقاربة له، وكذلك دراسة(شجاع.٢٠١٠) اهتم بدراسة دلالة المكان في مسرح باكثير السياسي؛ فالمكان حاضر في ذهن باكثير على المستوى الواقعي والسيكولوجي والنفسي والرمزي، وبذلك سبق كلاسيكيات البحث عن المكان، وأخيرًا دراسة(Guilliams.2003) وتدرس مفهوم المكان وفقدان المكان وأهميته والإحساس به في مسرحيات(هورتون فوت) وعلاقته بارتباطات الناس النفسية والعاطفية ببيئتهم في المنزل والمجتمع.

لذا اهتم البحث الحالي بدراسة المكان المقصود وهو(وادي السباع) كمكان مشترك في مسرحيتين دينيتين لباكثير وغايته منهما ودلالة ذكره فيهما وعلاقة ذلك بشخصياته وأفعالهم الدرامية، ولعل هذا ما يضعنا أمام إشكالية اعتبرت المنطلق الأساسي لهذا البحث.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يستدعي توضيح إشكالية أهمية دور المكان بأنماطه وأبعاده داخل النص المسرحي بشكل عام والديني ذات الطابع الإسلامي بشكل خاص؛ التطرق إلى تأثيرات دلالات المكان داخله من المفهوم اللغوي إلى النقدي، بالاعتماد على الدال الذي تشكله الألفاظ داخل النص، والمدلول الذي تشكله الصورة الذهنية للقارئ؛ لإدراك جماليته وطبيعته الفنية وعلاقته المهمة والضرورية بباقي عناصر البناء الدرامي للنص من جهة، وعلاقته بثقافة الكاتب الدينية والتاريخية والاجتماعية للكشف عن الهدف الدرامي الذي يرمي إليه من جهة أخرى، ووسيلة فعالة أيضًا لتقديم الأحداث وفهم طبيعة العلاقات التي تربط بين الشخصيات.

ولأن المكان يعد عنصرًا مهمًا في النص المسرحي وازداد وعي الكاتب المسرحي بأهميته فقدمه من خلال النص المرافق لفهم الحدث الدرامي والعلاقات التي تربط بين الشخصيات؛ والهدف الذي يرمي إليه الكاتب، لذا تناولته العديد من الدراسات كما ذكرنا سابقًا، "لتصبح دلالة المكان أهم ما يمكن أن يتناول للدارسة، لأنه مرتبط بجميع عناصر بناء النص الدرامي بل ومؤثر ومغير في مجرياته لعلاقته المتداخلة بين جميع مكوناته" (زبيدة.ص٢٣)؛ لذا فلكل نص مسرحي شكله الجمالي والفني الخاص به والمميز جماليًا ووظيفيًا وفنيًا؛ ومن ثم، تتحدد إشكالية البحث الحالي في السؤال الرئيس على النحو التالي: **إلى أي مدى استطاع باكثير توظيف المكان ودلالاته الدرامية في مسرحيتي "وادي السباع،السبع والحية"؟**

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١.ما أهمية المكان ودلالاته الدرامية المشتركة في مسرحيتي وادي السباع والسبع والحية؟

٢.ما علاقة دلالة العنوان بمكان الأحداث الدرامية في النصوص عينة البحث؟

٣.كيف وظف الكاتب سمات المكان وطبيعته ودلالاته التكوينية في النصوص عينة البحث؟

٤.ما علاقة المكان ودلالاته بعناصر البناء الدرامي موضوع البحث؟

٥.كيف وظف باكثير المكان ودلالاته للتأكيد على القضية الدينية التي يقدمها في مسرحياته؟

أهمية البحث:

١. أهمية الموضوع الذي يتناوله البحث وهو دراسة المكان ودلالاته الدرامية في مسرح باكثير الدينية القصيرة ذات الطابع الإسلامي.

٢.أنه دراسة جديدة في مجال الأدب المسرحي والدراسات النقدية، يمكن أن يستفيد منها العاملون بهذا المجال والباحثون والمهتمون بالدراسات المسرحية النقدية.

٣.قد يفيد نتائج البحث الحالي المجتمع والقائمين على المؤسسات المعنية بالدراسات الأدبية النقدية نحو الاهتمام بالنصوص المسرحية الدينية التي تبين دلالات المكان الدرامية في عنوان المسرحية؛ مما يؤكد على الدور الحيوي الذى يمثله المكان جماليًا وفنيًا في النص المسرحي.

أهداف البحث:

١.التعرف على أهمية المكان ودلالاته الدرامية المشتركة في مسرحيتي وادي السباع والسبع والحية.

٢. التعرف على دلالة العنوان بمكان الأحداث الدرامية في النصوص عينة البحث.

٣. التعرف على مدى توظيف الكاتب سمات المكان وطبيعته ودلالاته التكوينية في النصوص عينة البحث.

٤. التعرف على علاقة المكان بعناصر البناء الدرامي موضوع البحث.

٥. التعرف على توظيف باكثير المكان ودلالاته للتأكيد على القضية الدينية التي يقدمها في مسرحياته.

مصطلحات البحث:

المكان ودلالاته الدرامية:

المكان: اختلفت تعريفاته بين اللغوية، والفلسفية، والفنية، والدرامية، حيث تحمل كلمة المكان معانى الحيز والحجم والمساحة والخلاء، وتعني كلمة Space الفضاء الخارجي. (ديفيز.ص٩)،(مصطفى.ص٤٨) حيث شغل المكان الفكر الفلسفي والجمالي وعدد من منظري الدراما،"وعند أرسطو المكان "موجودًا" ما دمنا نشغله ونتحيز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه وسابق عليها ولا يُفسد بفسادها"(العبيدي.ص٢٠)، فالمكان لديه أمر بديهي تدل عليه حركة النقلة والاستحالة وتعاقب الأجسام على المحل الواحد، ووجود الجهة:(فوق، تحت، خلف، أمام، يمين، يسار)، وهو مفارق للجسم خارج عنه، دون أن يختلط به(مرحبا.ص١٧٣-١٧٤)،"فالمكان لا يؤدي دور الإيهام بالواقع فقط بل دورًا دلاليًا ووظيفيًا وأيديولوجيًا.(عباس.ص٧٣)

"الفضاء الدرامي هو العالم الذي يرسمه نص المسرحية من خلال الحكاية التي يرويها، وهذا الفضاء هو فضاء الصراع بين القوى الفاعلة الذي يشكل البنية العميقة للنص".(إلياس،قصاب.ص٢٤٩)

"فنجد النصوص المسرحية تتخذ من المكان مفهومًا معرفيًا وجماليًا إذ يعد أحد المكونات الأساسية للنص المسرحي وله أبعادٌ فكرية ودلالية فهو معطى معرفي تتوضح عبره معنى النص وزمن المسرحية وموقع أحداث النص، ويعد من عتبات النص الأساسية التي يستهل بها، وللمكان المسرحي أهمية كبيرة في سير الأحداث المسرحية وقد يكون المرتكز الأساسي الذي يسود على باقي المكونات الدرامية".(بيرم.ص١٨٢)

الدلالة: الموضوع الأساسي لعلم الدلالة Sematics وهو دراسة المعنى، ويهتم بالعلامات اللغوية(عمر.ص٥)، فالكلمة جزء من حقل أعم وأفسح هو العلامة(قاسم،أبوزيد.ص١٠)، واهتمام العلوم المختلفة بالدلالة تبقى متشعبة ومختلفة؛ وذلك لاختلاف المنطلقات النظرية(جيرو.ص١٠)

فالدلالة اللغوية تمثل علاقة بين الدال(اللفظ المسموع أو المقروء) والمدلول(المعنى/ الغائب)، وتسمى العلاقة التي تربط بينهما بالدلالة، والعلاقة تمكن كل منها من استدعاء الآخر، فالمدلول يمكن أن يستدعي اللفظ.(أولمان.ص٧٢)،(توجروف.ص١٧)

يتجاوز المحلل الدلالي ذلك إلى كشف العلاقة بين البنية اللغوية للنص وسياق اجتماعي أو تاريخي أو فني خاص، بحيث يستخلص الدلالة من مقارنة النص بغيره من النصوص التي تشترك معه في أحد السياقات السابقة، مما يساعد الباحث لمعرفة أسلوب النص.(عمر.ص٣٧)

تعرفها الباحثة إجرائيًّا بأنها: بأنها الدلالات التي يحملها المكان الدرامي في النص المسرحي والتي تميزه عن الأماكن الأخرى وتطور الحدث الدرامي وتساعد في نمو شخصياته وتطورهم فكريًا وتؤثر على نفسيتهم بالسلب أو الإيجاب، فالمكان يحمل كثير من الدلالات الدرامية ويساعد القارئ على التخيل ويخدم الفكرة الدينية التي يحملها النص، ويتفاعل مع كافة العناصر الدرامية وشديد الارتباط بعنصر الزمان.

حدود البحث:

حدود موضوعية: تتحدد في المكان ودلالاته الدرامية في مسرح علي باكثير- مسرحيتي "وادي السباع، السبع والحية" أنموذجًا.

حدود زمانية: حيث تم إجراء البحث الحالي خلال عام٢٠٢٢/٢٠٢٣م.

منهج البحث: ينتمي البحث الحالي إلى نوعية البحوث الوصفية التي تصف مكونات النص المسرحي، ولتحليل مضمونه وتحديد سماتها العامة، والكشف عن دلالات المكان المستخدم بها ووضع العمل ككل متكامل دون النظر إليه من وجهة نظر ضيقة تركز على المضمون فحسب من خلال استخدام مجموعة من المناهج النقدية وهي المنهج البنيوي التكويني لرصد بنية التحولات الاجتماعية التي تهيمن على مكونات النص، وتجعله ديناميكية مؤثرة بين البنية الداخلية للنص والبنية الاجتماعية(فضل.ص١٢٣)، والمنهج السميوطيقي الذى يركز على تفصيلات المكان وحركات وأفعال الشخصيات للوصول إلى دلالاتها الدرامية

والفنية والجمالية، "فالدلالة هي علاقة تتحقق من تآلف الدال والمدلول، واتحادهما يؤلف بنية الدلالة".(قطوس.ص١٣٠)

عينة البحث: تتمثل في نصين مسرحيين هما:(وادي السباع، السبع والحية)، ووقع اختيار الباحثة عليهما كمسرحيات ذات طابع ديني إسلامي ألفها الكاتب باكثير ولم يتم تناولها بالبحث والدراسة–على حد علم الباحثة– كما أن النص الأول تدور أحداثه كاملة في(وادي السباع) أما النص الثاني فتدور أحداثه في مكانين(بيت أبي حمزة الخرساني، وادي السباع)؛ فأرادت أن تعرف دلالة استخدام المكان عند الكاتب وتأثيره على الحدث الدرامي والشخصيات الدرامية، والهدف الذي رمى إليه عند ذكره، ونجد أيضًا أن اسم أحدهما سمي باسم المكان–وادي السباع– والنص الآخر يحمل اسم الحيوانات البرية التي يشتهر بها المكان.

الإطار المعرفي للبحث:

المكان ودلالاته الدرامية في المسرح:

يتحمل الكاتب مسؤولية اختيار المكان الذي يعبر عن فلسفته في النص، والقضية التي يتناولها؛ فيزيل محدوديته الجغرافية ويحوله إلى دلالات درامية متعددة سواء جمالية أو فنية، التي يحملها النص ويعبر عن رؤيته، فالأماكن مهما صغرت أو كبرت ومهما أتسعت أو ضاقت تصبح عبارة عن مفاتيح لفك مغاليق النص المسرحي.

لذا فلا أحداث درامية بدون مكان وزمان؛ فالمكان له علامات وتحديدات، وفيه ينبثق الماضي والحاضر، وقد تتحدد فيه ملامح المستقبل، والفن يستهدف محاولة الوصول للجوهر الخفي للمكان، فأفق المكان في الفن تختلف اختلافًا بينًا عن أفق المكان الواقع الملموس، فيتحول إلى موجود حيوي منه وإليه تتحرك وتتشكل كافة العلاقات والأشياء (مصطفى.ص٥–٦)

وممكن للمكان العادي أن يكتسب دلالة دينية من خلال أفعال الشخصيات تجاهه(قاسم،أبوزيد.ص٦٣)، مثل:"جبل عرفات"، "وبإمكان المكان أن يُحرك الأحداث من

خلال قرارات الشخوص في الانتقال المكاني الملموس مما يستدعي تغيرًا مستمرًا للأمكنة"(الدليمي.ص٤)

والأماكن التي تعد مغلقة لشخص كالبيت تعد مفتوحة للشخصيات الأخرى كصاحب البيت، فهو مكان لفرحته وغضبه وأحزانه، فهو بالأحرى مكان طفولتنا كما سماه غاستون، كما تعبر عن أصحابها(باشلار.ص٧٥)

باكثير وأهمية المكان ودلالاته في نصوصه المسرحية الدينية ذات الطابع الإسلامي القصيرة:

المكان في مسرح باكثير له أهمية واضحة، فلم يكن مجرد خلفية جغرافية وجمالية وفنية يجسد من خلالها أحداث النص المسرحي ويحرك شخوصه داخل مساحة مغلقة أو مفتوحة، وإنما أصبح المكان عنده يمثل ركيزة درامية وضرورة فنية تحمل العديد من الدلالات الدرامية للنص.

فالمكان حاضر في ذهن باكثير على المستوى الواقعي والسيكولوجي والنفسي والرمزي، وبذلك سبق كلاسيكيات البحث عن المكان.(شجاع.٢٠١٠)

والمكان في مسرح باكثير ليس بقعة جغرافية، ولكنه يعد من أهم العوامل التي يرتبط بها الإنسان، ويدخل معها في علاقات نفسية وروحية(شجاع.ص٧١)، فما أكثر الشعراء والأدباء الذين ذكروا الأمكنة لتعميق الإحساس بها أو بالفكرة التي جيئت من أجلها، فالمكان موطن ذكرى وعبرة، وتداخل الأمكنة بين الماضي والحاضر لتنبيه الوعي، وجماليات المكان في ملكوت الله الواسع، ورمزية استحضاره.(كلجي.ص٤٠-٤٥)

الدراسة التحليلية ونتائجها:

أولًا:النص المسرحي وادي السباع(*):

طبيعة المكان وسماته ودلالاته التكوينية في النص المسرحي:

يتكون النص المسرحي (وادي السباع) من خمس لوحات قصيرة؛ الأولى تدور في: **(كوخ الشيخ ماجد السلمي في جانب مرتفع من الوادي)**، والثانية تدور في:**(شبه مصلى يفصل بين كوخ حُمَمَة وكوخ عامر)**، والثالثة تدور في:**(كوخ الشيخ ماجد)**، والرابعة تدور في:**(شبه مصلى لعامر وحُمَمَة)**، والخامسة في:**(وادي السباع)**، وتدور أحداثه حول متعبدين زاهدين هما (عامر،حُمَمَة) يلجآن إلى وادي السباع هربًا من المدينة لمكان ينقطعان فيه عن الدنيا للقيام بواجباتهم نحو الله، ثم يُلمح لهما الشيخ ماجد دون تصريح عن رغبته لتزويجهما من ابنتيهما الوحيدتين(ليلى، سلمى) بعد إلحاح من زوجته سعدى والتي حرضتها ليلى على فعل ذلك؛ فيفكران في الأمر ويرفضانه بشدة– خاصةً حُمَمَة– خوفًا من الانشغال عن هدفهما؛ ولكن عامر يعيد النظر في أن زواجهما من بنات الشيخ ماجد يُدنيهما من الله عز وجل ويأجرهم عليه، وأن يعملان رعاه لدى والدهن حتى يستطيع الإنفاق عليهن، وبالفعل يتزوجون، ويحدث أن يأتي السبع خلف عامر في الوادي ويخاف الجميع لكنه ينجو رغم خوفه نتيجة حسن الظن بالله الذي لا يستقيم إلا بصدق التوكل عليه؛ فيثق بالله أنه سينجيه، وبالفعل يقترب منه السبع؛ ثم يهدأ ويضع عامر يده على منكبه ويذهب في هدوء، ومن هنا يتأكد لعامر وحُمَمَة أن استقام لهم السبيل في وادي السباع.

اتسم المكان في النص الدرامي ببساطة مكونات المشهد أو اللوحة؛ فجميع الأحداث الدرامية تدور داخل ذلك الوادي دون ذكر تفاصيل لوصف المكان نظرًا لطبيعة النص الدرامي القصير وأحداثه المكثفة، فيشعر القارئ أن الوادي مفتوح أمامه بحياته البسيطة ومرتفاعاته والأكواخ الموجودة به.

(*) باكثير،علي أحمد.(٢٠١٠).مسرحيات إسلامية قصيرة.تحقيق وتقديم:محمد أبو بكر حميد.القاهرة. مكتبة مصر.ص٥٢٩-٥٣٧.

وهنا المكان يجمع بين أكثر من دلالة في مكان واحد، فعند تفكيكه ينتج عنه أماكن عدة، تتسم بالبساطة والتكثيف في المعنى، فبذكر كوخ الشيخ ماجد يلفت الكاتب الانتباه إلى تواجدهم في مكان لا يكثر فيه الناس ولكنهم يعيشون حياة هادئة كأسرة صغيرة تعرف قيمة المنزل-الكوخ- وقيمة الأسرة والحفاظ عليها، أما الأكواخ الأخرى لحُمَمَة وعامر وشبه المُصلى التي تفصل بينهما فهي توحى برغبتهما في الابتعاد عن إزعاج المدينة ورغبتهما في التفرغ للعبادة والطاعة وعدم الانشغال بالدنيا وزينتها.

ماجد:"إنهما هجرا المدينة وهبطا هذا الوادي الموحش وادي السباع فرارًا من الناس لينقطعا لعبادة الله ولا يلتفتا لشيء في الدنيا"

ونجد المكان الخاص بكوخ الشيخ ماجد تكرر في لوحتين، وكذلك كوخ عامر وحُمَمَة وشبه المصلى التي بينهما تكررا مرتين، حتى لا يحدث رتابة للقارئ ويشعر بأن الأحداث الدرامية متداخلة مع بعضها البعض، والتنوع ما بين داخل الكوخ وخارجة يجعل هناك براحة في الفكر والتدبر في الخلق والملكوت.

وبالتالي فالقيمة الفنية والجمالية للأكواخ لا تكمن في فك الوظائف الخارجية، بل تكمن ببعدها الفني أولًا، باعتبارها وعاء شعبيًا احتوى تراكيب اجتماعية أعطت لجزئيتها قيمًا جمالية بها(النصير.ص٥٥-٥٦).

فالكوخ كجزء من تركيبة اجتماعية ونفسية تحمل خصائص جمالية وفكرية عديدة؛ فيمتد بين الزروع والأشجار والأماكن المفتوحة ويتكون من القصب البريدي المتراص الذي يُدهن بالطين، ويوحي بالتماسك والعزلة عن الآخرين، وعادة ما يرى صاحبه ما يجري خارجه ولا يحدث العكس لمن كان خارج الكوخ، فيصبح الفرد بها أكثر قدره على الاعتماد على النفس واتخاذ القرارات والتفرد والعمل، ونجد أن مساقط الضوء الشمسي والرياح متعددة داخل تلك الأكواخ فيضيئ الكوخ فترات النهار، وبإحساس فطري نشأت تركيبته الداخلية كتشكيل جمالي خاص موزع بين الضوء والظلال بشكل بسيط، كما يحمل آراء وانعكاسات لا تحدث ولا تجري إلا به، فحوله الكاتب إلى مدلولات فكرية أراد بها تصوير العزلة عن المدينة، ويتخيل القارئ ما في الوادي من مناظر خلابة ومياه تجري

في الأنهار، وعند المساء يسود الصمت والسكينة وعبادة عامر وحُمَمَة لله الواحد القهار، فيلائم الشخصية المتحولة مكانيًا واستيعابها لحاجات ضرورية داخل الإطار النفسي لها.

أما وادي السباع فهو المكان الرئيس الذي تدور فيه الأحداث والذي يتسم بالاتساع ويناسب طبيعته، "فكلما انحصر الحدث في مكان معين كلما تضخمت مشكلة الخروج والدخول إلى هذا المكان، والكاتب مضطر لتبرير دخولهم وخروجهم تبريرًا قويًا ومقنعًا" (رشدي.ص٤٩)، حتى لا يقلل هذا من تأثير الحدث الدرامي والمسرحية على القارئ، كما ساعد المكان الدرامي القارئ في معرفة المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتوسط، وبساطتهم في العيش داخل الوادي.

التشكيل الجمالي الذي ركز عليه باكثير منذ بداية الحدث الدرامي للنص، والذي يتمثل في التكوين وحسن القدرة على توظيفه دراميًا في باقي أجزاء النص، كما كان يفعل الكلاسيكيون والتزامهم بوحدة المكان ودلالته الدرامية والجمالية، فنجد ثبات المكان طوال الحدث الدرامي، حيث تعمد باكثير أن يكون المكان ثابتًا من بداية الأحداث حتى نهايتها مما يؤكد على أهميته؛ وأهمية ما يقع فيه من أحداث درامية، والحالة النفسية التي يعانيها بعض شخصياته الدرامية.

فوادي السباع مكان من صنع الطبيعة تملؤها الحيوانات الشرسة والأليفة التي تبارك الخلاق في صنعها، مما يناسب الحدث الدرامي الديني الذي يشير إليه الكاتب وهو حسن الظن بالله وصدق التوكل عليه، والزهد في العبادة واليقين بقدرته، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، فجعل الكاتب إمكانية تحول شكل ووظيفة الوادي ودلالاتها الدرامية مع ثبات تكوينها، فشهدت أجل لحظات العبادة للزاهدين، كما شهدت إيمانهما بأن ممارسة الحياة الطبيعية التي خلقها الله لنا هي لون من ألوان العبادات التي يجب الالتزام بها والدعوة لها.

عامر:"أجل، لقد كان كلام هذا الشيخ ما فتح عين بصيرتي على الحق، فجعلت أنظر في حالي وفي حاله، وأوازن بينهما، أي الحالين أحرى أن يدني صاحبه إلى الله، فوجدت أنه أفضل مني في كل شيء".

التوظيف الدلالي للعنوان لخلق المكان في النص المسرحي:

هناك علاقة وثيقة بين العنوان والمكان، فالعنوان يتكون من كلمتين هما:(وادي)، والثانية(السباع)، فيتبادر إلى ذهن القارئ أن الوادي في النص هو وادي السباع المكان الدرامي الذى تدور فيه الأحداث من بدايتها حتى نهايتها، أما(السباع) فهي كل ذي ناب حاد من الحيوانات المفترسة التي ترمز للقوه والشجاعة، وذكر في القرآن الكريم في سورة القصص "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٣٠)، واستخدم في الشعر كثيرًا كشعر الشاعر أبو تمام

أبنَّ معَ السباعِ القفر حتى .. لخالتهُ السباعُ منَ السباعِ

ووجود اسم وادي السباع في العنوان ليؤكد على أهمية هذا المكان ودلالاته الدرامية المتعددة، فعند قراءة العنوان للوهلة الأولى يتخيل القارئ الوادي الواسع بأنهاره وأشجاره وحركاتها ، وصوت الرياح، والأكواخ المتواجدة على أطرافه والحياة البسيطة للمكان المريحة للنفس والقلب، والمخيفة في بعض الأحيان.

ويقع هذا الوادي في الواقع بمدينة البصرة ببغداد، وسبب التسمية يعود لامرأة من بني قضاعة تسمى أسماء بنت عمران وكان لها من الأولاد سبعه وتسمى أم الأسبع وهم:(أسد، ليث، ذئب، كلب، فهد، سرحان، غضنفر)، وكانت جميله جدًا وذات يوم مره من أمامها وائل بن قاسط؛ فأعجب بجمالها، وطمع بها فقالت له، لو هميت بك لأتاك أسبعي، قال لها لا أرى حولك أسبعًا فنادت على أولادها فتجمعوا حولها وسلوا سيوفهم، فقال والله ما هذا إلا وادي السباع. (https://www.alnssabon.com/t49782.html)

وهذا إن دل إنما يدل على وفرة الحياة الحيوانية في جزيرة العرب آنذاك وتأثر الإنسان العربي بها وإعجابه ببعضها مما دفعهم لتسمية أبنائهم بأسمائهم.

"وادي السباع قريب يقع شمال الزبير على بعد ستة أميال منه غير بعيد عن محطة شعيبة"(الطنجي.ص١٢)، وذكر أن الزبير مضى وتبعه خمسة من الفرسان فحمل عليهم

وفرق جمعهم، ومضى حتى صار إلى وادي السباع موضع على طريق مكة، بينه وبين الزبيدية ثلاثة أميال.(الكوفي.ص٤٧١)

التوظيف الدلالي للشخصيات الدرامية لخلق المكان في النص المسرحي:

يرتبط المكان بعلاقة تفاعلية بينه وبين الشخصيات، فنجح باكثير في إثارة العديد من التساؤلات والجدل في نفس القارئ، خاصة فيما يتعلق بالمكان وعلاقته بشخوص النص، فهل يرمز المكان بثباته وعدم تغيره لشخصية عامر وحُمَمَة أم لشخصية الزوج والزوجة وابنتيهما، فمن الواضح أن شخصية عامر وحُمَمَة شخصيتان ذات نمط ديني، "فالبطل في الأدب الإسلامي هو القدوة، والنموذج الذي تتجسد فيه القيم الإسلامية". (الكيلاني.ص٥٥)

فنجد شخصية عامر الذي استعان بها باكثير ليؤكد للقارئ أن تواجده في الوادي أثر على شخصيته وأكد هدف الكاتب من ذكر الوادي في عنوان النص المسرحي، فنجد أن نسبه الديني هو عامر بن عبد قيس ويقال أبو عمرو التميمي العنبري البصري وصفه الذهبي بالقدوة الولي الزاهد، وراهب هذه الأمة، وقيل: كان عامر لا يزال يصلي من طلوع الشمس إلى العصر، فينصرف وقد انتفخت ساقاه فيقول: يا أمارة بالسوء، إنما خلقت للعبادة، وهبط واديًا به عابد حبشي، فانفرد يصلي في ناحية، والحبشي في ناحية، أربعين يومًا لا يجتمعان إلا في فريضة، قال قتادة لما احتضر عامر بكى، فقيل ما يبكيك قال ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن على ظمأ الهواجر وقيام الليل.(الذهبي.ص١٥-١٩)،

(https://islamweb.net/ar/library/index.php)،(https://ar.wikipedia.org)

وكذلك الشخصية الدرامية حُمَمَة استعان به الكاتب ليؤكد فكرة اللجوء لوادي السباع للتأكيد على القضية التي يتناولها النص المسرحي، فيشترك مع عامر في الزهد والتعبد فهو عمرو بن حُمَمَة بن الحارث بن دوس، وعُرف في الجاهلية بحكيم العرب، ويؤخذ بمشورته، اشتهر بالمجد والحكمة، وكان أسخى العرب، وهو مطعم الحاج بمكة، وكان أحد المعمرين الذين عاشوا زمنا طويلًا، قيل إنه عاش ثلاثمائة سنة وتسعين.

(https://waqfeya.net/book.php?bid=12124)،(https://ar.wikipedia.)،
(الزهراني.ص١٦٥-١٦٩)

أما عن علاقة عامر وحُمَمَة بالمكان وتواجدهما في الأكواخ وشبه المصلى الذي يفصل بينهما، وبعد التفكير واليقين من المواقف، أكد لنا الكاتب على أنهم استقام لهما السبيل في وادي السباع، فجاءت في الحياة الواقعية كما التزم بها دراميًا باكثير في النص المسرحي وهي كالتالي: وهبط واديًا يقال له وادي السباع، وفي الوادي عبد حبشي يقال له حُمَمَة، فانفرد عامر في ناحية، و حُمَمَة في ناحية، يصليان، لا هذا ينصرف إلى هذا، ولا هذا ينصرف إلى هذا أربعين يومًا وأربعين ليلة...، فجاء عامر إلى حُممة فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: دعني وهمي، قال: أقسمت عليه، قال: أنا حُمَمَة ، قال عامر: لئن كنت أنت حُمَمَة الذي ذُكر لي لأنت أعبد مَن في الأرض..، قال: إن كنت عامر بن عبد قيس الذي ذُكر لي فأنت أعبد الناس، فأخبرني بأفضل خصلة، قال: إني لمقصر، ولكن واحدة عظمت هيبة الله في صدري حتى ما أهاب شيئًا غيره، فاكتنفته السباع، فأتاه سبع منها، فوثب عليه من خلفه، فوضع يديه في منكبيه وعامر يتلو هذه الآية:"ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ"، فلما رأى السبع أنه لا يكترث له ذهب، فقال حُمَمَة: بالله يا عامر، ما هالَك ما رأيت؟ قال: إني لأستحيي من الله أن أهاب شيئًا غيره.

وعن المعلى بن زياد القرشي عن عامر بن قيس أنه مر بقافلة قد حبسهم من بين أيديهم على طريقهم فلما جاء عامر نزل عن دابته فقالوا: يا أبا عبد الله إنا نخاف عليك من الأسد فقال: إنما هو كلب من كلاب الله إن شاء أن يسلطه سلطه وإن شاء أن يكفه كفه فمشى إليه حتى أخذ بأذن الأسد فنحاه عن الطريق وجازت القافلة وقال: والله إني لأستحي من ربي تبارك وتعالى أن يرى من قلبي أني أخاف من بره.(الحنفي.ص٢٣١-٢٣٢)،(https://books.google.com)

عامر:"لئن كنت أنت حُمَمَة الذي سمعت كثيرًا عنه لأنت أعبد من في الأرض".

حُمَمَة:"عامر بن عبد قيس سمعت بك كثيرًا لئن كنت إياه لأنت أعبد الناس".

حُمَمَة:"حتى هذه السباع التي تسمع زئيرها في أحيانًا بالليل؟

عامر:" نعم حتى تلك السباع".

"فالحدود التي تحد المؤلف المسرحي تلزمه أن يركز على شخصية أو شخصيتين" (رشدي.ص٤٥)، وبالتالي يستطيع الكاتب بالشخصيات القليلة التي يختارها أن يهتم برسم شخصياتهم بعناية وعمق درامي؛ وأن يرمز بشكل مكثف لأكثر من شخصية في المجتمع الديني وأخلاقيتهم في كل حياتهم، فجعلها الباعث القوي والمبرر المقنع لكل تصرفاتهم وتواجدهم بالمكان(وادي السباع).

أما شخصية الشيخ ماجد وزوجته سعدى وبنتهما ليلى وسلمى جاء بهم باكثير للتأكيد على أن فكرة زواج العابد والزاهد لا تلهيه عن العبادة بل هي سنة وتقرب لله عز وجل، وجاءوا للدلالة على الحب والحنان والعطف والجو الأسري المتمثل في الأكواخ ودلالات تواجدها في الوادي كما ذُكر سابقًا.

التوظيف الدلالي للصراع الدرامي لخلق المكان في النص المسرحي:

المسرحية هنا بدأت بالإشارة إلى الحاضر وتواجد الشخصيات في الوادي وحديث الشيخ ماجد وزوجته سعدى عن رغبة الأم في تزويج أبنتيهما من عامر وحُمَمَة؛ ثم يحدثنا الكاتب عن ماضي الشخصيات الدرامية بشكل مكثف من خلال انتقال العابدين من المدينة إلى الوادي؛ رغبة في التفرغ للعبادة وعدم الانشغال بشيء سواه، "فالدراما توجد عندما يوجد موقف متأزم وهي تهمل ما يسبق هذا الموقف وما يليه".(رشدي.ص٤٣)

فالحدث الدرامي يبدأ في المكان المغلق (الكوخ) بصراع بين الزوجين على رغبة سعدى في تزويج ابنتيهما للزاهدين فقد كبرتا ونضجتا ولا أحد يراهُن في هذا الوادي؛ ونجد عدم رغبة زوجها في ذلك لأنهما جاءا من المدينة هربًا من الناس والحياة ليتفرغوا لعبادتهما.

ماجد:"يا أم ليلى هذان العابدان لا يصلحان لابنتيك".

سعدى:"وما يدريك؟"

ماجد:"إنهما هجرا المدينة وهبطا هذا الوادي الموحش وادي السباع فرارًا من الناس إلى الله لينقطعا لعبادته ولا يلتفتا لشيء في الدنيا فما بالك بالزواج؟"

كما نجد الصراع الفكري ينتقل في المكان الفتوح شبه المصلى، الذي دار بين عامر وحُمَمَة في الخلاء والاتساع الموجود في الوادي وبراحة الفكر والتأمل في فكرة الزواج من بنات الشيخ ماجد(ليلى،سلمى) وتلميحه لهما بذلك دون التصريح، وهي سنة الصالحين؛ فقد عرض سيدنا عمر ابنته على أبي بكر وعثمان- رضي الله عنهما- أجمعين، فهما هبطا الوادي للفرار من مثل هذه الأمور الدنياوية وأن ينقطعا لله بغية القرب منه، ولكن عامرًا مع إيمانه الكامل بهذا الهدف إلا أنه كان له رأي مخالف لحُمَمَة استنتجه من كلام الشيخ ماجد، وكان يعارضه حُمَمَة بشدة، وانتهى الجدال بإقناع عامر لحُمَمَة واتفقا على الزواج لأنه من السنة.

حُمَمَة:"ليتني ما لقيتك ياعامر ولا رأيتك"،"لقد كنت مطمئنًا في هذا الوادي إذ كنت وحدي حتى جئت أنت فأثرت قلقي وبلبالي".

عامر:"لكن قيامك بهذا الحق سيكون عبادة يأجرك الله عليها ويثبتك"،"في سنة رسول الله ﷺ ما يُزيل اللبس عنك، قالﷺ:(النكاح سنتي فمن راغب عن سنتي فليس مني)"

وجاء الحوار هنا للدلالة على براحة الفكر واختلاف النظرة عندما انتقل الكاتب من المكان المغلق للمكان شبه المفتوح للتأكيد على راحبة الفكر وتقبل رأي الآخر، ودليل على تأثر باكثير بالسنة النبوية وتمسكهما بها، مما سهل على حُمَمَة الموافقة على الزواج، كما استند إلى القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى وابنتا سيدنا شُعيب فكان مهر إحداهن أن يعمل لدى أبيهن راعيًا، وأوضح مدى وسطية منهجية الكتاب والسنة، فقال تعالى في سورة القصص:"إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ"(٢٧-٢٨).

"تُعد قصة سيدنا موسى-عليه السلام- من أكثر القصص سردًا في القرآن الكريم، وتظهر البلاغة الكامنة في آيات القرآن الوارد فيها القصة"(العتيبي.ص٢)، والآيات هنا ترمز إلى النظرية وهى الرغبة في النكاح والتطبيق من خلال الزواج ثم النتيجة أنه يتزوجها ويرعى مصالحهم، وهذا ينبئ عن قوة إيمان الكاتب وتمسكه به.

عامر:"إن لنا في موسى إذ تزوج ابنة شعيب عليهما السلام لأسوة حسنة".

وهنا أظهر لنا باكثير أنه على الرغم من اقتناع عامر بفكرة الزهد والتفرغ لعبادة الله، "فقيل: كان عامر بن عبد قيس يسأل ربه أن ينزع النساء من قلبه، فكان لا يبالي أذكرًا لقي أم أنثى، وسأل ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه، ولقي رجل عامر، فقال: ما هذا؟ ألم يقل الله:"وجعلنا لهم أزواجًا وذرية"(الرعد:٣٨)؟ قال: أفلم يقل:"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"(الذاريات:٥٦).(الذهبي.ص١٥-١٦) إلا أن عامر عندما تدبر حكمت الله عز وجل في ممارسة أمور الحياة واتباع سنة نبيه استطاع الوصول إلى الحقيقة والغاية من عبادته.

فتتلاحق الأحداث وتتصارع الشخصيات في النص المسرحي وتنقلها من الأماكن المغلقة إلى المفتوحة؛ لتصل أنهم استقام لهم السبيل جميعًا اللجوء لوادي السباع واليقين في ذلك بعد الريب.

التوظيف الدلالي للإرشادات المسرحية لخلق المكان في النص المسرحي:

ارتبط المكان في نص باكثير بالنص المرافق ارتباطًا قويًا، ففي البداية يقدم لنا الكاتب وصفًا للمكان وما طرأ عليه من تغيرات، فبرغم قلة المفردات اللغوية في النص المرافق التي تصف الشخصيات وأفعالها وحركاتها، إلا أن الكاتب أجاد تكثيف المعنى الذى يشير إليه النص الفعلي من تفسير لتصرفات وأفعال الشخصيات وكذلك توضيح دوافع حركات الدخول من وإلى الأماكن المغلقة والمفتوحة أي من الأكواخ والخروج إلى المصلى والمرعى، والتي نفهما من سياق الحوار الدرامي.

ماجد:"ياسعدى ياليلى، ياسلمى، تعالين معي! لندعْ عامرًا وحممه يفرغا قليلًا لعبادة ربهما".

والمكان هنا ليس مجرد فضاء يسمح للشخصيات الدرامية أن تؤدي دورها الدلالي والجمالي بمعزل عن تأثيراته، بل هو مساهم بتحولات شخصية (عامر، حُمَمَة)، وكيف جعل الكاتب المكان يؤدي الغرض والمغزى الحقيقي وراء ذكره من خلال تهذيب النفس والتأكد من عدم مهابة أيٍ من خلق الله.

وبالتالي فهو مؤثر فعال في الأحداث، حيث إن كل انتقال للشخصية في المكان هو انتقال وتحول في الشخصية، والذي يؤدي بالضرورة إلى تغيير في مجرى الأحداث والنهايات الدرامية التي تحمل خطاب النص ومغزاه، كما حدث مع عامر عندما كاد أن يهجم عليه السبع من وراء ظهره، ولكنه هدأ وتثبت بإيمانه، فتشممه السبع وانصرف.

ليلى:(تنادي في خوف وقلق)"عامر!يا عامر! السبع وراءك يريد أن يفترسك".

عامر:(يسمع صوته من بعيد)"ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود".

سعدى:"الحمد لله يابُنيتي قد ذهب عنه دون أن يؤذيه".

عامر:"إذا رأيتموه يقترب مني مرة أخرى فاتركوه ولا تهيجوه، فذلك أحرى أن يكفيه عني فلا يؤذيني".

بل يكاد المكان أن يكون شبيهًا للشخصية فهو حينًا يتمثل ذاتها في القوة والصرامة في شخصية عامر وحُمَمَة، والحب والحنان في أسرة الشيخ ماجد، وحينًا يمثل أعمق مكنوناتها من خوف وقلق وضعف، كخوف عامر وحُمَمَة أن يقصرا في عبادة الله رغم ما يقومان به من عبادات، وحينا آخر يكون سببًا في كشف عمق الإيمان بالله كما حدث مع حُمَمَة عندما تأكد من ذلك في عامر عندما كاد أن يهاجمه السبع ويفتك به.

عامر:"لأنك أنت نفسك كنت في ريب من أمري ياحممة".

"وقال أبو عمران الجوني: قيل لعامر بن عبد قيس: إنك تبيت خارجًا، أما تخاف الأسد!؟ قال: إني لأستحيي من ربي أن أخاف شيئًا دونه.(الذهبي.ص١٧)

وبالتالي نجد مما سبق ذكره أن المكان الذي تجرى فيه الأحداث الدرامية يلعب دورًا كبيرًا في سلوك وأفعال الشخصيات طوال أحداث المسرحية، كما يلعب دورًا مهمًا في تحديد الأجواء التي تدور فيها أحداث المسرحية، فحدد باكثير منذ بداية المسرحية ومن خلال الإرشادات المسرحية(النص المرافق) المكثفة التي تتضمنها المسرحية ومشاهدها، وطبيعة المكان طوال الأحداث الدرامية، فقراءة الدلالات البصرية لطبيعة المكان في المنظر تدل على طبيعة ساكنيه خاصة وأن هذا الوادي الموحش ما به غير الماء والزرع وبساطة العيش والزهد والنزول به تفرغ لعبادة الله وحده.

وتدل مستويات المكان في المنظر على ساكنيه فهو كوخ داخل في جانب مرتفع من الوادي ففي بعض الأحيان ترتفع أرضية الوادي الجانبي عن أرضية الوادي الرئيس، وكأننا نشاهد بيتًا لأناس فروا من عيون الناس وابتعدوا عنه، فالأب يعيش في مكان بعيد معزول ومعه أسرته داخل هذا المكان المقفر، وعليه نستطيع القول إن دلالات المكان أكدت ما يود الكاتب قوله في الحدث الدرامي.

وبالتالي فوادي السباع الذي يحكي عن متعبدين بين الانقطاع عن الدنيا والقيام بواجبتها؛ يلعب دورًا متغيرًا طوال أحداث المسرحية، إذ يختلف الأثاث والمناخ، وبالتالي يترتب عليه تغير في أجواء الأداء المسرحي للشخصيات الدرامية، فكل مكان يدل على قاطنيه وهى دلالات تدل على طبيعتها وطبيعة الشخصيات، وفي النص دعوة إلى تفويض الأمر كله إلى لله تبارك وتعالى وحسن التوكل عليه وهو ما أكده باكثير من خلال دلالة المكان الدرامية.

عامر:"لا والله إني لأحب لك ألا ترتاب بعد في الحق الذي أرانا الله إياه، إننا اليوم في عيشنا هذا الجديد أقرب إلى رضوان الله مما كنا فيه أمس"،"الحمد لله ياأخي! الآن استقام لنا السبيل في وادي السباع".

ثانيًا:النص المسرحي(السبع والحية)(*):

تحليل المكان مهم في الدراما والمشاهد العاطفية لخيال المتلقي والجمهور بشكل عام (Tina.p6)، فيتكون النص المسرحي(السبع والحية) من أربع لوحات قصيرة؛ الأولى تدور في:**(بيت حمزة الخرساني)**، والثانية والثالثة تدور في:**(وادي السباع)**، أما الرابعة تدور في:**(بيت حمزة الخرساني)**، وبالتالي اتسم المكان في النص ببساطة مكونات المشهد أو اللوحة؛ فالأحداث الدرامية تدور في مكانين فقط؛ دون ذكر تفاصيل لوصف المكان نظرًا لطبيعة الأحداث المكثفة، فيشعر القارئ أن الوادي مفتوح أمامه بحياته البسيطة، والكوخ مكان للاستقرار والطمأنينة وعزلة عن الحيوانات البرية المخيفة في الوادي.

(*)باكثير،علي أحمد.(٢٠١٠).مسرحيات إسلامية قصيرة.تحقيق وتقديم:محمد أبو بكر حميد.القاهرة. مكتبة مصر.ص٦٨٣-٦٩٣.

فتدور أحداث النص الدرامي حول رغبة أبي حمزة في النزول إلى وادي السباع؛ ويخبر أمه بذلك فترفض بشدة؛ بسبب خوفها على ابنها من الهلاك رغم عدم حاجته لهذا من وجهة نظرها؛ لأن الله لما يأمرنا بذلك، ثم يقنعها أصدقاء حمزة بأنهما مرا بنفس التجربة في الوادي ونجحت وزاد اليقين بالله واطمأنت نفسيهما لذلك، فتوافق الأم بعد أن يَعيداها بأن يراقباه من بعيد عند نزوله للوادي دون معرفته، لأنه إذا أحس بهما أعاد التجربة مره أخرى، وبالفعل يذهب أبو حمزة ويُلقي بنفسه في بئر جاف، ويمكث به ليلة كاملة وينتظر؛ فيجد سبعًا يُدلي بإحدى قدميه في البئر، فيتعلق بها وينجو، فيتشممه ويتركه وينصرف دون أن يؤذيه، ويستقر في نفسه بعدها أن الله امتحنه فوجده من المتوكلين عليه.

قدم باكثير من خلال نص(السبع والحية) فلسفة إيمانية تهدي الناس إلى الفطرة السليمة التي تؤمن بوجود خالق مدبر لهذا الكون واهتم بالمعنى قبل الشكل لأنه الأهم في المسرح الديني؛ لأنه يرتبط بالحق والعقيدة الربانية بعيدة عن الشك والتضليل والإلحاد، فيثير الفكر والوجدان لدى القارئ فيبحث عن الحق، ويستبشر بالخير والحب والجمال، وتعتبر هذه الدلالة الرمزية من أهم الدلالات المتعلقة بالمكان وأصعبها، لأنها تحتاج براعة فنية في الأسلوب.

فالمذهب الرمزي يؤكدان أن عقل الإنسان الظاهر الواعي عقل محدود، وأن الإنسان يملك عقلًا باطنًا غير واع أرحب من ذلك العقل، وأحفل بعشرات المرات (الباشا.ص٧٢)، وبالتالي ينتقل فكر الكاتب هنا كعدوى للقارئ فيتنقل إليه أفكاره.

طبيعة المكان وسماته ودلالاته التكوينية في النص المسرحي:

"المكان يكشف عن جمال النص الذي يبلور رؤية المؤلف ومنظوره الجمالي، هذه المفاهيم أثرت في طبيعة بنية النص وتشكيل المكان فيه"(حسن.ص٥٩٥)، ويعتبر الوادي من الأماكن المفتوحة والتي تعرف بأنها: "مسرحًا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها، كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل:الشوارع والأحياء والمحطات، وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي"

(ملفوف.ص٦٨)، فيبعث لنا الوادي من خلال المياه والرياح وتخيل حركتها، تعبر عن الحياة في البرية والطبيعة الخلابة وبئر المياه الجاف والمخاطر المحاطة بالمكان من السباع والحيات، مما يكسبها أهمية في النص المسرحي.

والوادي هنا بمثابة مكان مركزي وظيفته "إنجاز المهمة في الحكاية"، كما يعد من أماكن اللامتناهي"، وتتمثل في المناطق النائية والأماكن البكر الخالية من أي مظهر حضاري كالغابات والصحاري.(زبيدة.ص١٣-١٩) وبالتالي تتعدد أدوار المكان ودلالته من خلال الموضوع الدرامي المطروح في نص(السبع والحية)، فيتفاعل مع الشخصيات والزمن والحدث.

فهنا مهمة المكان(وادي السباع) هو ثبوت اليقين بحسن التوكل على الله من خلال التعرض لأهواله وأخطاره دون خوف أو جزع من الشخصيات الدرامية.

أبو حمزة:"أريد يا أماه أن أثبت لنفسي أن الله قد امتحنني فوجدني من المتوكلين حقًا على الله".

"ويمكن تنويع الفضاءات المكانية داخل العمل المسرحي الإسلامي المعروض، ويمكن أيضًا تنويع الماضي والحاضر والمستقبل في عمل مسرحي واحد" (حمداوي.ص٣٢)، أما آن للفنان المسلم أن يصور تفاصيل حاضره الراهن؛ متخطيًا حدود الزمان تارة إلى الماضي حيث الخيال الفني الممتزج بوقائع التاريخ الكبرى، ومنعطفاته الفاصلة، ومواقفه المشهورة، وتارة أخرى إلى المستقبل حيث الرؤى والأحلام. (خليل.ص١٨٦-١٨٧)

فذكر لنا أصحاب أبي حمزة (أبو سعيد، وأبو الحسن) ما حدث لهما في الماضي من خلال اللجوء لوادي السباع لجهاد النفس، وإثبات حسن الظن بالله وما يترتب عليه من إيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، ويحكيان ذلك في الحاضر خلال تواجدهما في بيت أم حمزة، لتتركه يجرب ويمتحنه الله في حسن التوكل عليه ولكنها تخاف من المستقبل المجهول وما سيحدث لابنها في وادي السباع الموحش المخيف المليء بالسباع والحيات السامة.

التوظيف الدلالي للعنوان لخلق المكان في النص المسرحي:

هناك علاقة وثيقة بين العنوان والمكان الدرامي في النص المسرحي(السبع والحية)، فالعنوان يتكون من كلمتين هما:(السبع)، والثانية(الحية)، فيتبادر إلى ذهن القارئ أن الأحداث الدرامية تشتمل على مخاطر من ذكر أسماء هذه الحيوانات البرية الخطرة كالسبع ذات الأنياب الحادة والفتاكة؛ والحية السامة التي تؤذي كل من يقترب منها، والتي يجوز قتلها في الإسلام فهما من الفواسق الخمس التي تلحق الضرر بالإنسان وتقتله، وجاء ذكرها في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وقال ابن منظور: "والسَّبُعُ يقع على ما له ناب من السِّباعِ ويَعْدُو على الناس والدوابّ فيفترسها مثل الأَسد والذِّئْب والنَّمِر والفَهْد وما أَشبهها، والثعلبُ وإِن كان له ناب فإِنه ليس بسبع لأَنه لا يعدو على المواشي ولا يُنَيِّبُ.."(ابن المنظور.ص١٤٧)

والسبع حيوان من آكلات اللحوم، لونه وحجمه قد يختلفان بحسب البيئة التي يعيش فيها، ينشط ليلًا ونهارًا حيث يتجول لكي يؤكد سيطرته على المكان المتواجد فيه، ويرمز للقوة والشجاعة فيلُقب به الملوك، أما الحية فهي حيوان زاحف من ذوات الدم البارد لها جسم متطاول ضخم، ومن آكلات اللحوم، ونجد حاسة الشم هي الحاسة الرئيس التي تعتمد عليها في التحرك، وتستخدم السم للأنواع السامة منها لقتل الفريسة وإخضاعها أو للدفاع عن نفسها، فكمية قليلة منها كافية لإحداث أضرار شديدة للضحية وتسبب الموت للإنسان، وورد دلالة استخدامها في القرآن الكريم ووضعها في مكانها المناسب، فذكرت بأسماء وصفات تدل عليها، كقوله تعالى:"قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" (طه:١٩-٢٠)، تميزت الحيةهنا بملمح الحياة؛ ولذلك جاء في سياق وصف المعجزة وهي انقلاب الميت حيا، وهو ما لم يره فرعون وملؤه، بل أراه الله عز وجل لنبيه، وفي النص المسرحي(السبع والحية)، جعل باكثير الحية مصدرًا لحياة أبي سعيد عندما سخرها خالقها لترشده إلى الماء؛ فنجا من الموت المحقق.

وبالتالي جاء لنا باكثير بالسبع والحية في عنوان النص لدلالة على المخلوقات الشرسة والسامة التي خلقها الله؛ ليتبادر إلى ذهن القارئ حدوث شيء مخيف قد يكون في

مكان مغلق أو مفتوح، ولكن على الأرجح يكون في مكان مفتوح كمرعى أو وادي لتواجدهم بشكل مكثف في تلك الأماكن، ليكتشف في نهاية القراءة أن السبع والحية المتواجدين في وادي السباع أرسلهما الله رحمة ونجاه للشخصيات ودليل على استقامة توكلهم على الله وعدم مهابة شيء سواه، ووجود واو العطف في العنوان يفيد الترتيب أي أن هناك أمر سبق الآخر أو أهم من قبل الكاتب.

التوظيف الدلالي للشخصيات الدرامية لخلق المكان في النص المسرحي:

أكد لنا باكثير من خلال الشخصيات الدرامية ووجودها في وادي السباع، على المكان ودلالاته الدرامية المتعددة، وكيفية خروج الشخصيات من الأزمة النفسية الخاصة بالريب والشك والحديث عنها في المنزل، إلى اليقين بالله من خلال نزول وادي السباع، والتأكد من أنهم استقام لهم السبيل في اللجوء للوادي لتأكيد حسن الظن بالله.

والمسرح الإسلامي يستبدل الشخصيات الفاسدة والذليلة والمتقاعسة، بشخصيات مؤمنة قوية، ويعوضها بأبطال قادرين على العمل الجاد، والفعل الهادف، والتغيير الإيجابي المستمر، وبالتالي يرفض الشخصيات الفردية الفاشلة وغير المنجزة، ويعوضها بشخصيات إيجابية فاعلة حرة ومبدعة ومبتكرة لها كامل الإرادة والحرية والقوة والقدرة على تغيير واقعها الفاسد، واستبداله بواقع أكثر صلاحًا ورفعة وفضيلة.(حمداوي.ص٢٧)

لذا نجد باكثير يستعين في النص الدرامي بالشخصيات ذات النمط الديني فشخصية أبو حمزة الخرساني في الواقع هو أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، كان إمامًا ورعًا ديناً من نيسابور في إيران، ومن كبار العباد.(الذهبي.ص٨٥٩)

فأبو حمزة الشخصية الدرامية متوافقة مع نسبه الديني في الواقع، فيحب أن تجاهد نفسه في سبيل الله، ويؤمن بالقضاء والقدر شره وخيره، ويحسن الظن بالله الذي لا يستقيم إلا بصدق التوكل عليه، وأن حسن الظن بالله درجة من درجات التوكل على الله، أي أن اختيار الله هو الأفضل للعبد دائمًا، وتريد نفسه التحقق من ذلك من خلال اللجوء إلى(وادي السباع) فيلقي نفسه في بئر ليس به ماء، ليرى كيف ينجيه الله بعد توكله، فيأتي إليه

رجلان يضعان القصب على فم البئر ليسداه حتى لا يقع فيه أحد، فيجئ سبع ضخم ويزيح القصب من فم البئر، فيدلي بأحد أرجله فيه فيتعلق بها أبي حمزة ويخرج من البئر، ثم يتشممه ويتركه ويذهب، فيمتحنه الله فيجده من المتوكلين عليه.

أما شخصية الأم وتواجدها في المنزل، جاءت لتمثل امرأة عجوزًا عمياء ولكنها ذات بصيرة وحكمة اكتسبتها من الزمن، ومصدرًا للخير والبركة في المنزل، وصاحبة فضل فيما بلغه ابنها من نجاح وتوفيق، وتشجعه دائمًا على تقوى الله، وترى أن ذهابه للوادي وإلقاء نفسه في قعر بئر مخاطرة غير محسوبة ولا جدوى منها؛ لأن أهله كانوا صالحين ولم يفعلوا ذلك للوصول إلى الله، وجاء الاسم مجرد حتى تمثل أم كل مؤمن موحد بالله عز وجل وتمثل الأسرة الدينية التقية، كما تمثل الفكر والفكر الآخر.

الأم:"إني كما ترى ياولدي امرأة عجوز عمياء إن عشت هذا العام فلن أعيش العام الذي بعده.."،"أليس الله عز وجل يقول في كتابه العزيز(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ– البقرة:١٩٥)".

أما أصحاب أبي حمزة المقربون فهم أبو (سعيد الخراز وأبو الحسن الفارسي)، فهما يَعتبران أم أبي حمزة أمهما الثانية، ولكنهما يريان أبا حمزة على حق فيما يقصده من وادي السباع ليستقر في نفسه تقوى الله وطاعته، كما حدث معهما، فأبو الحسن قطع البادية في رحلة شاقة لا فيها زاد ولا ماء، فأصابه العطش فوجد حية فخاف منها مسرعًا وهي خلفه تنفث؛ حتى بلغ مكانًا به ماء، والتفت وراءه ولم يجدها، فشرب الماء ونجى، أما أبو سعيد فاجتاز البادية وحده وتعرض لأخطار الوحوش والظلام والتيه والجوع والعطش أيضًا، مستعينًا بالله حتى ينجو من تلك المتاعب والأهوال ويستسلم لها استسلامًا مطلقًا متوكلًا عليه، ثم أُغشى عليه وعندما أفاق وجد نفسه في واحة أهلها من البدو فأكرموه ونجى.

أبو الحسن:"أجل! الله عز وجل أرسلها لتدفعني إلى موضع الماء".

أبو سعيد:"فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعامًا ولكني نهرتها وقلت: ليس هذا من فعل التوكل!.." .

فحسن الظن بالله والتوكل عليه ليس به شروط، فلا يدفع عن النفس أي خطر وإنما يترك الأمر كله لله، ولكن الأم لم تستسلم وشرطت على صاحبي أبي حمزة أن يحرسانه لضمان سلامته فينفذان رغبة الأم.

ويشترط في المسرح الإسلامي أن يطرح عدة مواقف متباينة، ويعرض رؤى فكرية متناقضة، ولكن لابد أن يرجح الموقف الإسلامي على باقي المواقف الأخرى عن طريق الحوار الحجاجي المنطقي، والجدال الإقناعِ الحسن المدعم بالبراهين والأدلة النصية والعقلية والواقعية، ويعني هذا أن تكون هناك شخصيات درامية مختلفة متناقضة في أهوائها ونوازعها ورغباتها، ولكن لابد من وجود شخصية محورية إيجابية تدافع عن الموقف الإسلامي، وتشرح موقف الدين من القضية المعروضة، فتفسره تفسيرًا صحيحًا من أجل هداية الغير، وتصحيح اعتقاده، وتقويم سلوكه بطريقة حسنة لإخراجه من الضلالة إلى الهداية، والانتقال به من الظلمات إلى النور(حمداوي.ص٢٩)، ويتضح ذلك في النص من خلال موقف الأم من ذهاب ولدها للوادي وخوفها عليه مما سيواجه فيه، ولكن الشخصية المحورية(أبوحمزة) دافع عن قضيته حتي يتحول الريب إلى يقين ويثبته لنفسه وأمه وأصحابه.

ويمكن للمرأة أن تمثل مجموعة من الأدوار المسرحية الجادة والهادفة إلى جانب أخيها الرجل، مادامت المسرحية تستلزم حضور المرأة في مواقف معينة ومحددة لأدائها، وتشخيصها دراميًا وفنيًا وجماليًا(حمداوي.ص٢٩)، حيث استعان كاتبنا بالأم لتكون بالنسبة لابنها الحماية والحنان والعطف والوطن والسكن، وترشده في كل المواقف الحياتية، حتي يصل إلى النجاح والتوفيق وينال رضا الله ورضوانه، ويتجسد ذلك في دعائها له عند نزول الوادي.

والمكان يسهم ببلورة صورة الشخصية وكيانها الملموس وهي تستميت بحثًا عن نتائج أفعالها، فالمكان يشكل وعاء لها ويتطلب ذلك مستويات متعددة من الأمكنة التي تشكل سعة أكبر من سعة المكان الملموس، وإن كان هذا المكان مفتوحًا وواسعًا فالشكل المكاني الملموس يكون واحدًا من جهات المكان المتعددة غير المرئية كأن تكون أمكنة محاذية للمكان الملموس أو بعيدة عنه أو تشكل ماضي الشخصية البعيد.(حسن.ص٥٩٦)

فجاء الحوار على لسان الشخصيات معبرًا عن المكان ودلالاته الفنية والجمالية والقضية التي يتناولها النص وما يترتب عليها من الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، فجاء الحوار باللغة العربية الفصحى البسيطة متخذًا النصوص القرآنية حجة وسندًا لأفعال وأقوال الشخصيات الدرامية ومبررًا للجوء إلى المكان الدرامي الأهم في الأحداث(وادي السباع)، كما جاء الحوار مختلطًا بلغة الشاعر وهنا تتدخل ذاتية الشاعر الكبير علي باكثير ليلقي لنا على لسان شخصياته بعضًا من أبيات الشعر للتعبير عن الحدث الدرامي، وكأن صوتًا خفيًا لا تراه الشخصيات يروي تلك الأبيات ليبرهن أنه من توكل على الله كفاه، ويتخذ المنهج الصوفي سبيل للقرب من الله.

أبو سعيد:" ويـــــزعم أنـــه منا قــريبُ وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا عن اللأواء صبرا كأنا لا نراه ولا يرانا

أبو حمزة:"تراءيت لي بالغيب حتى كأنما تبشرني بالغيب أنك في الكف

أراك وبي من هيبتي لك وحشة فتؤنسني باللطف منك وبالعطف

والحوار في المسرح الإسلامي يكون واضحًا معبرًا وهادفًا بانيًا ومسؤولًا، بالابتعـــاد عن مظاهر الحشو والمبالغة والإطناب والاستطراد، والتعبير بلغة راقية وســـامية، فلغتـــه مؤثرة ومقنعة، وقوية بالحجة والدليل والبرهان، تهدف إلى بنـــاء الإنســـان بنـــاء دينيًـــا صحيحًا، والرفع من مستواه التواصلي والاجتماعي والأخلاقي لفظًـــا وإشـــارة وتلويحًـــا، وتكون قادرة على الإقناع الذهني والعقلي والوجداني عبر التطهير الأخلاقـــي والتهـــذيب الديني، وبالتالي يعتمد على المأثور من كلام الله وهدي النبـــي.(حمـــداوي.ص٣٣-٣٤)، فأثر المكان على الحالة النفسية للشخصيات وأبرزها شخصية أبو حمزة الـــذي زاد يقينـــه وإيمانه بحسن الظن بالله عندما انتقل من منزل الأم المكان المغلـــق؛ إلـــى وادي الســـباع المكان المفتوح ليدل على رحابة الفكر وسعته والقدرة على التأمل واليقين بالله.

الأم:"وأنا واثقة ياولدي أن الله لا يأمرك بأن تذهب إلى وادي السباع وتلقي بنفسك في بئر هناك".

التوظيف الدلالي للصراع الدرامي لخلق المكان في النص المسرحي:

فالصراع في النص المسرحي (السبع والحية) متمثل في صراع الأم مع ابنها في المنزل ومتمثل أيضًا في عدم رغبتها في نزوله لوادي السباع المكان المخيف المليء بالحيوانات البرية المفترسة، ولكن ابنها يصر على ذلك ويصمم وينزل الوادي، بعد أن حاول صديقاه أن يحسما صراعه مع الأم من خلال تعهدهما بحراسته عند نزول الوادي دون معرفته، فتسمح له في النهاية وتتركه يذهب، كما أن هناك صراعًا آخر قائمًا بين البطل ونفسه لينجح في اختبار الله لحسن توكله، فيتحول الريب إلى زيادة اليقين بالله، فهو سلوك نفسي يتمثل في صدق اعتماد قلب العابد الزاهد على الله –عز وجل– فيكفيه تمام الكفاية، ويقترن التوكل بالصبر لجلب المنافع ودفع الضرر، فهو خُلق من أخلاق الإسلام لقوله تعالى:"وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(المائدة:٢٣)، "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"(آل عمران:١٥٩)، فيثق المؤمن بالله تمام الثقة ويحسن الظن بتدبيره؛ لذا يتوكل عليه في أمور حياته فتطمئن نفسه ويرتاح قلبه ويستكين ويرضى بقضائه وقدره، ويكون أقوى بالله، فيحتاج إلى عمل من أجل التقرب من الله سبحانه وتعالى، وتقودنا هذه القضية في النص للصراع الذي يُحسم بالذهاب لوادي السباع وخوض التجربة.

فالصراع في المسرح الإسلامي؛ صراع أخلاقي واقعي بين الحق والظلم، بين الروح والمادة، بين الغواية والهداية، أو صراع اجتماعي واقعي بين المتكبرين والمستضعفين، أو صراع ديني بين الوثنية والتوحيد، أو صراع نفسي داخلي وباطني بين الخطيئة والتوبة(حمداوي.ص٢٥)

التوظيف الدلالي للإرشادات المسرحية لخلق المكان في النص المسرحي:

يحرص الكاتب على تنمية الحس الجمالي، وتربية الذوق عند القارئ، من خلال النص المرافق وذكره لبيت أبو حمزة المليء بالدفء والحنان والعطف ويعبر عن البيت المسلم الحريص على طاعة الله عز وجل، فذكره بشكل عام، كما ذكر لنا وادي السباع؛ وترك لنا حرية إنشاء المكان وتخيله مما يتولد من تصرفات الشخصيات والحوار الذي يجري على لسانها، ويؤثر في الأحداث الدرامية كونه الموقع الذي تنتقل فيه الشخصيات ويؤثر فيها.

فيوظف المسرح الإسلامي إمكاناته المختلفة في إحداث الأثر الإيجابي، المرتبط بذات الأديب المسلم وتصوراته وتطلعاته، ويأتي هذا تلقائيًا دون تصنع أو زيف، لأن التكلف يوهي من عري الإبداع، ويعطل من تأثيره الفعال، ويهبط بمنزلة الأديب إلى مرتبة تجعله قاصرًا عن القيام بدوره، في تخليص الإنسان من الانحراف والتخبط، وتعزله عن دوره الحضاري والاجتماعي.(الكيلاني.ص١٢٠)

وللمكان أهمية بوصفه ملموس، فباستطاعة الكاتب أن يوظفه لتجسيد الأفكار والرموز والحقائق التي يريد توصيلها للقارئ، فلابد للحدث من إطار يشمله ويحدد أبعاده ويكسبه من المعقولية ما يجعله حدثًا قابلًا للوقوع استنادًا لسعة المكان أو ضيقه فضلًا عن القيمة الاجتماعية التي ترتبط به وما يحمله من شحنات عاطفية وامتدادات نفسية. (الخزاعي،الغزالي.ص٢٨٦)، "المكان هو واقع الكاتب، فإنه يترجم هويته ونظرته لاستقبال الواقع"(فاطمة الزهراء.ص٢٦٥)

فالكاتب في نص(السبع والحية) أراد أن يجسد لنا أفكاره الدينية، وجسدها من خلال شخصياته الدرامية العابدة المتصوفة، والتي تحسن الظن بالله، وكذلك المكان المتسع في الوادي الذي يلعب دورًا مهمًا في تأكيد فكرة راحبة الفكر، وتقبل التجربة لتثبت للفرد المؤمن لنفسه إيمانه بالقضاء والقدر خيره وشره.

النتائج العامة للبحث:

١. لم يلجأ باكثير عند إنتاج دلالات المكان في النصين(وادي السباع، السبع والحية) إلى إرساء دلالات لحدوده الجغرافية، بل لجأ إلى المكان اللامحسوس، أي مكان معنوي يحمل دلالات عميقه، ومن خلال ما تحسه الشخصيات.

٢.ساعد المكان(وادي السباع)؛ على تجسيد حقيقة الصراع القائم بين البطل العابد الزاهد ونفسه في النصين المسرحيين، كما تتلاحق الأحداث وتتصارع الشخصيات الدرامية من خلال تنقلها من الأماكن المغلقة إلى المفتوحة؛ لتصل في النهاية أنهم استقام لهم السبيل جميعًا في اللجوء لوادي السباع فيتحول الريب إلى يقين.

٣.تنوعت الأماكن ما بين المغلقة كالأكواخ التي تدل على العزلة عن المدينة في نص(وادي السباع)، ومنزل أبي حمزة دليل الاستقرار والأمان في نص(السبع والحية) إذ عده الكاتب بمثابة الوطن والحماية والمرشد لهم، ثم تنتقل الأحداث إلى المكان المشترك بينهما(وادي السباع) لدلالة على الترحال والسعي لإثبات حسن الظن بالله.

٤.جاء الحوار الدرامي معبرًا عن المكان ودلالته، بلغة عربية فصحى متأثرة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فتتناسب مع الفكرة والقضية الدينية التي يتبناها الكاتب وهي حسن الظن بالله الذي لا يستقيم إلا بصدق التوكل عليه، وبالتالي الإيمان بالقضاء والقدر شره وخيره.

فنثق به تمام الثقة، فيتم اللجوء إلى وادي السباع لإثبات ذلك.

٥.هناك علاقة وثيقة بين العنوان ودلالة المكان الدرامي المشترك بين النصين، فحوله الكاتب إلى مدلولات فكرية أراد بها تصوير العزلة عن المدينة، ويتخيل القارئ ما في الوادي الفسيح الذي يدل على رحابة الفكر والتأمل في خلقه، فيتلاءم والشخصية المتحولة مكانيًا واستيعابها لحاجات ضرورية داخل الإطار النفسي لها.

٦.تنويع الفضاءات المكانية داخل النصين المسرحيين، وبالتالي تنوعت أزمنتها ما بين ماضي الشخصيات العابدة الزاهدة(أبو حمزة، أبو سعيد،أبو الحسن)، ورغبتهم في اليقين من حسن ظنهم بالله، والحاضر في محاولتهم اللجوء إلى وادي السباع لكي يمتحنهم الله في إيمانهم بالقضاء والقدر خيره وشره، والمستقبل المتمثل في النجاة من السبع والحية وتحولهم لمصدر نجاة الشخصيات؛ نتيجة حسن توكلهم عليه.

المـــــراجـــــع:

أولًا:المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. كتاب السنة النبوية.

٣. باكثير،علي أحمد.(٢٠١٠).مسرحيات إسلامية قصيرة.تحقيق وتقديم:محمد أبو بكر حميد.القاهرة. مكتبة مصر.

ثانيًا:المراجع الأجنبية:

1. Dahami, Yahya Saleh(2021).Arabic Contemporary Poetic Drama: Ali Ahmed Ba-Kathir A Pioneer.Arab World English Journal for Translation&Literary Studies.Volume 5.Number 1.February.
2. Guilliams,Rick Michael.(2003).Place and loss of place in the works of Horton Foote.United States.ProQuest Dissertations and Theses.
3. Hamid,Mohamed AbuBakr.(1988).Two plays by the Islamic dramatist,Ali Ahmad Bakathir translated into English with critical commentary.United States. Ph.D.University of Illinois at Urbana-Champaign. ProQuest Dissertations Publishing.
4. P.A.bdu Rasheed.(2015).Ali Ahmad Bakathir-his life and works.Volume3.Issue 4.December.
5. Tina Askanius.(2017).It feels like home, this is my Malmö: Place, media location and fan experiences of The Bridge.Malmö University,Sweden.Volume 14.Issue2.November.

ثالثًا:المراجع العربية:

١. ابن المنظور.(١٩٩٩).لسان العرب.ج٨.بيروت.دار إحياء التراث العربي.مؤسسة التاريخ العربي.

٢. أبو رضا،سعد.(٢٠١٠).ملامح الاتجاه الإسلامي في روايات علي باكثير في مجموعته المسرحية من فوق سبع سماوات.أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية.القاهرة.ج١.١-٤ يونية. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٣. الإسلام،فخر.(٢٠١٨).الجانب الإسلامي والوطني في أدب علي أحمد باكثير-دراسة تحليلية.رسالة ماجستير غير منشورة.بنجلادش.جامعة داكا.قسم العربية.
٤. إلياس،ماري وقصاب،حنان.(١٩٩٧).قضايا المعجم المعاصر.بيروت.مكتبة لبنان.
٥. أولمان،ستيفن.(١٩٨٦).دور الكلمة في اللغة.ترجمة:كمال بشر.القاهرة.مكتبة الشباب.
٦. الزهراني،مرزوق بن هياس.(٢٠١٣).الجوس في المنسوب إلى دوس.مج١. د.ن.١٤٣٤ه.
٧. الباشا،عبد الرحمن رأفت.(١٩٩٦). نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد.ط٣.القاهرة.دار الأدب الإسلامي.
٨. جيرو،بيير.(١٩٨٨).علم الدلالة.ترجمة:منذر غباشي.دمشق.طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
٩. بيرم،رقية وهاب.(٢٠٢١).سلطة المكان في النص المسرحي العراقي المعاصر.بغداد.مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية.مج٢٩.ع١٠.
١٠. توجروف،أزوولدتريفان.(١٩٨٨).المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث.ترجمة وتعليق: قيننى عبد القادر.الدار البيضاء.أفريقيا الشروق.
١١. حسن،عبد الله حسين.(٢٠١٢).الاشتغال الدلالي للمكان بين النص المسرحي والفيلم-أوديب ملكًا أنموذجًا.مجلة كلية الأداب.ع١٠٢.بغداد.
١٢. حمداوي،جميل.(٢٠١٦).خصائص المسرح الإسلامي- المكونات والسمات.المغرب .جامع الكتب الإسلامية.
١٣. حميد،محمد أبو بكر.(١٩٩١).علي أحمد باكثير في مرآة عصره.القاهرة.دار مصر للطباعة.
١٤. حميد،محمد أبو بكر.(٢٠١٠).يوميات علي أحمد باكثير في روسيا والجمهوريات الإسلامية وأوروبا- مشاهدات وأحاديث في السياسة والثقافة.القاهرة.مكتبة مصر.

١٥. الحنفي،الحافظ سيف الدين عمر.(٢٠٠٥).النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم.بيروت.دار الكتب العلمية.

١٦. الخزاعي،نور سعيد والغزالي،أمل حسن.(٢٠١٩).المتظهرات المكانية في النص المسرحي الروسي المعاصر.مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية.مج٢٧.ع٤.

١٧. خليل،عماد الدين.(١٩٧٢).في النقد الإسلامي المعاصر.بيروت.مؤسسة الرسالة.

١٨. ديفيز،ب.س.(١٩٩٨).المفهوم الحديث للمكان والزمان.ترجمة:السيد عطا.الألف كتاب الثاني(٣٧). القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٩. الذهبي،شمس الدين محمد.(١٩٩٦).سير أعلام النبلاء.تحقيق:مأمون الصاغرجي.ج٤.ط١١. بيروت.مؤسسة رسالة.١٤١٧ه.

٢٠. الذهبي، شمس الدين محمد.(١٩٨٧). كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.تحقيق:عمر عبد السلام.ج٦.بيروت.دار الكتب العربي.

٢١. الرافعي،مصطفى صادق.(١٩٩٦).وحي القلم.القاهرة.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢. رشدي،رشاد.(١٩٩٨).فن كتابة المسرحية.القاهرة.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣. زبيدة،طرفي.(٢٠١٦).دلالة المكان في رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي.رسالة دكتوراه غير منشورة.الجزائر.جامعة آكلي محند أولحاج-البويرة.كلية اللغات والأدب العربي.قسم اللغة والأدب العربي.

٢٤. زيدان،مايسة علي.(٢٠٢٠).المكان ودلالاته الجمالية والدرامية في بيت الدمية لهنريك إبسن.مجلة التربية النوعية والتكنولوجيا-بحوث علمية وتطبيقية.ع٦.جامعة كفر الشيخ.كلية التربية النوعية.

٢٥. شجاع،عادل قاسم.(٢٠١٠).دلالة المكان في مسرح باكثير السياسي.جامعة عدن.نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي.ع٢٦.ديسمبر.

٢٦. شلاش،غيداء أحمد.(٢٠١١).المكان والمصطلحات المقاربه له–دراسة مفهوماتية.مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية.مج١١.ع٢.جامعة الموصل.كلية التربية الأساسية.

٢٧. الطنجي،شمس الدن أبي عبد الله.(١٩٩٧).رحلة ابن بطوط المسماة تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار.تحقيق:عبد الهادي التازي.ج٢.أكاديمية المملكة المغربية.

٢٨. عباس،إبراهيم.(٢٠٠٢). تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية. الجزائر. المؤسسة الوطنية للنشر.

٢٩. العبيدي،حسن مجيد.(١٩٨٧).نظرية المكان في فلسفة ابن سينا.بغداد.آفاق عربية.دار الشؤون الثقافية.

٣٠. العتيبي،سارة بنت نجر.(٢٠١٩).المكان ودلالته الرمزية في القصص القرآني– قصة موسى أنموذجًا. مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية.ع١٨.

٣١. عمر،أحمد مختار.(١٩٨٢).علم الدلالات.الكويت.مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع.

٣٢. فاطمة الزهراء،عجوج.(٢٠١٨).المكان ودلالاته في الرواية المغاربية المعاصرة.رسالة دكتوراة غير منشورة.جامعة جيلالي ليباس–سيدي بلعباس.كلية الآداب واللغات والفنون.قسم اللغة العربية وآدابها.

٣٣. فضل،صلاح.(٢٠٠٣).النظرية البنائية في النقد الأدبي.القاهرة.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٤. قاسم،سيزا وأبوزيد،نصر حامد.(١٩٨٦).مدخل إلى السيميوطيقا.القاهرة.دار الياس العصرية.

٣٥. قطوس،بسام.(٢٠١٦).المدخل إلى مناهج النقد المعاصر.القاهرة.دار الوفاء.

٣٦. كحيلة،محمود.(٢٠٢١).الدراما المسرحية بين الفنون الإسلامية.القاهرة.الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٧. كلجي،زينب بيره.(٢٠١٣).توظيف الزمان والمكان في الشعر الإسلامي المعاصر.مجلة فيصل. ع٧٨.تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية.١٤٣٤ه.

٣٨. كنالي،حمد الله محمد صالح.(٢٠٠٨).المسرحية الإسلامية المعاصرة–عماد الدين خليل نموذجًا. رسالة ماجستير غير منشورة.ماليزيا.الجامعة الإسلامية العالمية.

٣٩. الكوفي،أبي محمد أحمد.(٢٠١٧).كتاب الفتوح.تحقيق:علي شيري.ج٢.لبنان.دار الكتب العلمية.

٤٠. الكيلاني،نجيب.(١٩٨٥).حول المسرح الإسلامي.ط٢.بيروت.مؤسسة الرسالة.

٤١. الكيلاني،نجيب.(١٩٨٧).مدخل إلى الأدب الإسلامي.كتاب الأمة.قطر.مطابع الروضة الحديثة.

٤٢. مرحبا، محمد عبد الرحمن. (١٩٨٣).من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.

٤٣. مصطفى،حسن يوسف.(٢٠١٣).جماليات المكان–المقهى عند نجب محفوظ نموذجًا.القاهرة.بورصة الكتب للنشر والتوزيع.

٤٤. ملفوف،صالح الدين.(٢٠١٣).المكان ودلالته في رواية اعترافات تام سيتي٢٠٣٩ لعز الدين ميهوبي.مجلة الحكمة.ع٢٩.الجزائر.مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.

٤٥. النصير،ياسين.(١٩٨٦).الرواية والمكان.بغداد.دار الحرية للطباعة.

٤٦. الدليمي، منصور نعمان.(١٩٩٩).المكان في النص المسرحي.الأردن.دار الكندي للنشر والتوزيع.

رابعًا:مواقع الإنترنت:

١. https://books.google.com تم الاطلاع على المكتبة الشاملة، كتاب النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٢١.

٢. https://islamweb.net/ar/library/index.php تم الاطلاع على عمرو بن حُمَمَة بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٢٥.

٣. https://ar.wikipedia تم الاطلاع على عمرو بن حُمَمَة الدوسي، وعامر بن قيس على موقع وكيبيديا بتاريخ٢٠٢١/١٢/٢١.

٤. https://waqfeya.net/book.php?bid=12124 تم الاطلاع على المكتبة الوقفية وتحميل كتاب الجوس في المنسوب إلى دوس بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٢٨.

٥. https://www.alnssabon.com/t49782.html تم الاطلاع على اتحاد النسابين العرب. قصة أم السباع ووادي السباع. بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٣٠م.

The Place and Its Dramatic Connotations in The Theatre of Ali Bakathir
Two plays "The Valley of Lions, the Lion and the serpent" as a model

Abstract

:The aim of the current research is to find out The place and its dramatic connotations in Ali Bakhtir's short religious plays,and relied on the structural method of compositional analysis of the two texts and the semiotic approach to focus on the details of the place and the actions of the characters to reach their dramatic connotations, and the sample of research was represented in two plays"The Valley of Lions, the Lion and the serpent":

1.In producing the semantics of the place(The Valley of Lions),He did not resort to establishing semantics of its geographical boundaries,but rather to the intangible place,any moral place with deep connotations, and through what the characters feel.

2.The spatial spaces varied between the enclosed spaces such as huts to indicate isolation in the text(The Valley of Lions),and the house of Abu Hamza guide comfort and safety in (the Lion and the serpent),and then the dramatic events move to the common place(The Valley of Lions),to indicate the journey and seek to prove good faith in God,and thus varied its times between the past of the playing characters,and the present in their attempt to resort to wadi al-Sibaa in order to test them in their faith in the judiciary and destiny good and evil,The future of surviving the seven and the living and turning them into a source of survival for the dramatic characters.

3. The dramatic dialogue expressed the place and its significance, in a classical Arabic language influenced by the Qur'an and the Prophet's Sunnah, including in its linguistic compositions of some parts or its declaration, and is appropriate to the idea and issue adopted by the writer, so the characters resort to The Valley of Lions to prove it.

4.He dealt with Wadi Al-Sibaa through what the characters feel,helped to embody the constant conflict between good and evil,and there is a conflict between the hero and himself in the scripts,to succeed in testing God for good faith,so the suspicion turns into certainty.

Keywords: The Place and Its Dramatic Connotations,Ali Bakathir,Two Plays "The Valley of Lions, the Lion and the serpent".